الفصـــل الخـــامس

obeikandl.com

وسائــل الحــوار

obeikandl.com

تمهيد:

كأي بناء بعد أن نجهِّز مواده ولبناته، لابد من معرفة كيفية تشييده وإقامته.

وبعد أن عرفنا أسس الحوار الإيجابية وجهزناها، وسلبياته وجنبناها، فإنه لابد من معرفة وسائل إقامته وإعمالها.

والوسيلة في اللغة: الوُصلة. أي الشيء الذي يمكننا به أن نصل إلى شيء مراد.

والأسلوب هو الطريق.

فلو اعتبرنا الوسيلة مركبة توصلنا إلى غايتنا، لكان الأسلوب هو الطريق الذي تسير فيه هذه المركبة وطبيعته وصفته.[1]

ولذلك فإنني سأقسم هذا الفصل الخاص بوسائل الحوار إلى:

- **أساليب الحوار.**
- **اتجاهات الحوار.**
- **كفاءات الحوار.**
- **استراتيجيات الحوار.**

١- قصدت بهذا التوضيح بيان الفرق بين الوسيلة والأسلوب.

obeikandl.com

أولاً – أساليب الحوار:

١ – عدم الاعتماد على اللسان فحسب:

المحاور الناجح لا يعتمد – في حواره – على لسانه فحسب، ولكنه يستخدم حركات يديه أو تعبيرات وجهه، ويستخدم صوته فيرفعه تارة، ويخفضه أخرى، أو يغيِّر وضع جسمه، وكل ذلك في الوقت المناسب والموقف المناسب.

وقد قيل: البلاغة تكون على أربعة أوجه: تكون باللفظ، والخط، والإشارة، والدلالة. وكل منها له حظ من البلاغة والبيان، وموضع لا يجوز فيه غيره.

وقالوا – أيضًا – : لكل كلام جواب، ورب إشارة أبلغ من لفظ.

وإذا نظرنا إلى سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فإننا نجده لا يكتفي باستعمال لسانه فحسب، فكان (عليه أفضل الصلاة وأتم السلام) يحرص على توضيح ما يريد أن يقوله مستعملاً يديه أو أصابعه، ويتضح لنا ذلك من الروايتين الآتيتين:

عن جابر (رضي الله عنه) أنه قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اعتزل نساءه شهرًا، فخرج إلينا في تسع وعشرين، فقلنا إنما اليوم تسع وعشرون، فقال: "إنما الشهر [١] وصفق بيديه ثلاث مرات، وحبس إصبعًا واحدة في الآخرة" [٢].

وفي هذه الرواية لم يصرح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بلسانه بأن الشهر تسعة وعشرون يومًا، ولكنه وضح ذلك بيديه وبأصابعه عندما ضم يديه . أي الأصابع العشرة . مرتين، وفي الثالثة حبس إصبعًا ليكون العدد تسعة وعشرين يومًا.

أما في الرواية التالية فقد صرح بلسانه وأوضح بيديه وأصابعه أن الشهر تسعة وعشرون يومًا:

روى مسلم في صحيحه: "قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) يقول: اعتزل النبي (صلى الله عليه وسلم) نساءه شهرًا فخرج إلينا صباح تسع وعشرين، فقال بعض القوم: يا رسول الله: إنما أصبحنا لتسع وعشرين.

---

١ – في البخاري: "فقال:إن الشهر".

٢ –صحيح مسلم. كتاب الصوم، حديث رقم ٢٢.

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): إن الشهر يكون تسعًا وعشرين. ثم طبق النبي (صلى الله عليه وسلم) بيديه ثلاثًا مرتين بأصابع يديه كلها، والثالثة بتسع منها".[١]

وهذا– بالطبع– لا يمنع أن يكون الشهر ثلاثين يومًا، وهذا ما تبينه أحاديث كثيرة نذكر منها الحديث التالي:

"عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غُمَّ عليكم فصوموا ثلاثين يومًا". [٢]

أما استخدام أسلوب تغيير وضع الجسم، فإنه يتضح ذلك في الحديث التالي:

حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثًا) ... الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور أو قول الزور. وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) متكئًا فجلس، فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت".[٣]

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) متكئًا أثناء حديثه إلى أصحابه، ولكنه عندما جاء إلى قول: "وشهادة الزور أو قول الزور" فإنه جلس مغيرًا وضع جسمه من حالة الاسترخاء إلى حالة الانتباه حتى يشد انتباه سامعيه إلى أهمية النقطة التي يتحدث فيها، وأضاف إلى ذلك تكرار الجملة حتى يؤكد عليها لجميع سامعيه.

٢– توظيف الصمت:

يجب على المحاور الجيد أن يكون على علم بوظائف أو كيفية توظيف الصمت، واختلاف تلك الوظائف عبر المجتمعات أو الثقافات المختلفة، فقد يعبر الصمت في ثقافات معينة عن الرضا والقبول، بينما يعبر في ثقافات أخرى عن عدم الرضا وعن الرفض. وعلى المحاور أن يعرف طبيعة سرعة المتحدث، وزمن سرعته في كلامه، وزمن وقفاته أثناء الحديث، ودلالات هذا الأمر في عملية الحوار. وعليه أن يلاحظ الآتي:

١– كتاب الصوم.حديث رقم ٢٣.

٢– صحيح مسلم. كتاب الصوم، حديث رقم ١٦.

٣– صحيح مسلم. باب الكبائر وأكبرها، حديث رقم ١٣١.

- فترات الصمت بين واحد أو أكثر من المتحاورين تمثل إشارة من متحدث إلى آخر بأنه قد أنهى دوره في الحوار.
- الصمت قد يعني تجنب الدخول في الحوار.
- طول فترة الصمت قد تعني نوعًا من عدم الترحيب بالآخر والاندماج معه.
- قد يوظف الصمت لتجنب الدخول في مشكلات أو تفاقمها.
- استخدام الصمت للسيطرة على الضوضاء التي يحدثها طرف أو أطراف أخرى.
- استخدام الصمت كنوع من التمرد والعصيان، والتعبير عن الغضب السلبي.
- هناك من يستخدم الصمت حتى لا يكشف أحد نقاط ضعفه.
- قد ينتج الصمت عن فهم عميق لما يقوله الطرف الآخر، وهو هنا يستخدم من قِبل المحاور من أجل:

- التمعن فيما يقوله الطرف الآخر.
- التفكير فيما يود أن يطرحه على الطرف الآخر.
- التفكير في حجم المعلومات التي يود أن يكشف عنها، وخاصة في الحوارات التي تتعلق بأمور حساسة.

ونأخذ مثالين من هدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوضحان لنا توظيف الصمت:

"عن أبي بكرة، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب شهر مضر الذي بين جمادى وشعبان، ثم قال: أي شهر هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.

قال: أليس ذا الحجة؟

قلنا: بلى.

قال: فأي بلد هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.

قال: أليس البلدة؟ [1]

قلنا: بلى.

قال: فأي يوم هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.

قال: أليس يوم النحر؟

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: فإن دماءكم وأموالكم- قال محمد وأحسبه قال- وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعن بعدي كفارًا "أو ضلالاً"، يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا يبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يُبَلَّغُهُ يكون أوعى له من بعض من سمعه.

ثم قال: ألا هل بلغت؟

قال ابن حبيب في روايته: ورجب مضر. وفي رواية أبى بكر: فلا ترجعوا بعدي. [2]

قال النووي (شارح الحديث):

قوله: "ثم قال: أي شهر هذا؟..." إلى آخره، هذا السؤال والسكوت والتفسير أراد به التفخيم والتقرير والتنبيه على عظم مرتبة هذا الشهر والبلد واليوم. وقولهم: "الله ورسوله أعلم"، هذا من حسن أدبهم، وأنهم علموا أنه (صلى الله عليه وسلم) لا يخفى عليه ما يعرفونه من الجواب، فعرفوا أنه ليس المراد مطلق الإخبار بما يعرفون.

١- أي البلد الأمين، الجامع للخير المستحق أن يسمى باسم البلد.

٢- صحيح مسلم. كتاب القسامة، باب تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث رقم ٢٦.

obeikandl.com

وذكر ابن كثير في "البداية والنهاية" [1]:

"أهدر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دم نفر سماهم، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم عبد الله بن أبى سرح، كان قد أسلم وكتب الوحي، ثم ارتَدَّ. فلما دخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مكة وقد أهدر دمه فر إلى عثمان، وكان أخاه من الرضاعة، فلما جاء به ليستأمن له، صمت عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) طويلاً. ثم قال: "نعم". فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لمن حوله:

"أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني قد صَمَتُّ فيقتله"؟

فقالوا: يا رسول الله، هلا أومأت إلينا؟

فقال: "إن النبي لا يقتل بالإشارة".

وفي رواية: "إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين".

أي أن صمت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يعني عدم إعطاء الأمان

لعبد الله بن أبي سرح، وكان ينتظر أن يقوم أحد الصحابة بقتله، ولكنهم لم يفهموا مدلول صمته، فوضحه لهم (صلى الله عليه وسلم) بعد ذلك.

٣ – الرد بالأفعال وليس بالأقوال:

عندما يستخدم المحاور هذا الأسلوب فإنه يقوم باتخاذ فعل يغنيه عن الكلام مع الطرف الآخر، ويثبت له بطريقة عملية ما يريد أن يوصله له، وقد حدث ذلك، عندما خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زمن الحديبية ونزل بأقصاها، وجاء عروة بن مسعود يستعطفه تارة ويهدده تارة أخرى، وقال له: "أي محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك؟ هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى [2] فإني والله لأرى وجوهًا، وإني لأرى أوشابًا من الناس خليقًا أن يفروا ويدعوك." [3]

شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله، ولكنهم ما كان لهم أن يدخلوا في حوار مع عروة، وذلك في حضرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولم يكتفوا برد أبي بكر عليه حين قال له:

---

١ – البداية والنهاية. حديث رقم ٤ ، ص ٢٩٧.

٢ – أي لم ينفعك أصحابك وتخلوا عنك.

٣ – صحيح البخاري. كتاب الشروط، حديث رقم ٢٤٥٣.

"امصص ببظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟" [١] ، لكنهم أتوا بأفعال يرويها البخاري فيقول:

"ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نخامة، إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلَّك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له". [٢]

لقد سأل الصحابةُ عروة بلسان الحال: أمن يفعل هذا مع محمد يَفِرُّ عنه؟ وكانت الإجابة منه هو: "والله إن [٣] رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمدًا". [٤]

لقد اقتنع تمامًا أن أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) أشدّ اغتباطًا به وبدينه وبنصره من القبائل التي يراعي بعضها بعضًا لمجرد الرحم، وكان ردهم عليه ليس باللسان أو القول، ولكنه كان بالأفعال.

٤ – مراعاة الحاجات الفسيولوجية:

راعى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حواره الحاجات الفسيولوجية للإنسان، فعندما أتاه رجل يعترف أنه جامع امرأته في يوم صوم من شهر رمضان أمره بالكفارة، وعندما علم أنه غير قادر على أن يعتق رقبة أو يصوم شهرين أو يطعم ستين مسكينًا جاءه بمكتل فيه تمر ليتصدق به.. ولكن ماذا حدث؟ نعرف ذلك من الحوار التالي:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: هلكتُ [٥] يا رسول الله.

قال: وما أهلكك.

قال: وقعت على امرأتي في رمضان.

---

١ – صحيح البخاري. كتاب الشروط، حديث رقم ٢٤٥٣.

٢ – صحيح البخاري. كتاب الشروط، حديث رقم ٢٤٥٣.

٣ – أي: مارأيت.

٤ – صحيح البخاري. كتاب الشروط، حديث رقم ٢٤٥٣.

٥ – هلكت: أي عملت عملاً يوجب هلاكي الأخروي.

قال: هل تجد ما تعتق رقبة؟

قال: لا.

قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟

قال: لا.

قال: فهل تجد ما تطعم ستين مسكينًا؟

قال: لا.

قال: ثم جلس.. فأُتى النبي (صلى الله عليه وسلم) بِعَرَق فيه تمر..

فقال: تصدق بهذا.

قال: أفقَرَ منا؟! فما بين لابتيها [١] أهل بيت أحوج إليه منا.

فضحك النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى بدت أنيابه...

ثم قال: اذهب وأطعمه أهلك".[٢]

عرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حزن هذا الرجل وندمه الشديد على فعله المباح له في غير رمضان، ولكن شهوته تغلبت عليه في رمضان أثناء صيامه، ففعل ما فعل، وهو الآن ممتثل أمام الرسول يرجو النجاة، ولكنه لا يستطيع تأدية إحدى الكفارات، حتى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعطيه ما يتصدق به على الفقراء، ولكن الرجل يتساءل أمام الرسول (صلى الله عليه وسلم): وهل يوجد في المدينة أحد أفقر منا (أي هو وأهله)؟ فيضحك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويوافق على أن يأخذ التمر له ولأهله..

سبحان الله..

أهو جاء ليعاقب .. أم ليثاب!

صدقت يا من قلت:

١- اللابة: هي الحرة أي الأرض الملبسة حجارة سودًا.

٢- صحيح مسلم. كتاب الصوم، حديث رقم ٨٣.

obeikandl.com

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾"[1].

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على إدراك للحاجات الفسيولوجية للإنسان، يعرف أن الإنسان قد تغلبه حاجته إلى إتيان أهله . وهو ما أحله الله- ولكنه صادف يوم رمضان، فحاول أن يجد للرجل ما يستطيعه من كفارات، حتى إذا لم يجد أعطاه ما يتصدق به. ولكن كانت للرجل حاجة أخرى شديدة إلى هذا الذي سيتصدق به، فهو أكثر فقرًا ممن سيتصدق عليه، إنه يحتاج هو وأهله إلى الطعام.. يدرك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كل هذا، فيأمره أن يذهب بالتمر لأهله.. صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله.

ويجب أن ننبه هنا إلى أن مراعاة الحاجات الفسيولوجية ليست مبررًا لارتكاب المعاصي، فما ذكرنا هو حالة من الحالات التي ندم صاحبها ندمًا شديدًا على فعلته التي قد فعلها دون تعمد أو تفكير سابق، ثم عزم على ألاَّ يفعل مثلها بعد أن يأخذ عقابه، فكان تصرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأمره بالكفارة وإعطائها له لحاجته وحاجة أهله الشديدة لها.

٥ – ضبط معادلة الاندماج والاستقلال:

يعمل المحاور الناجح منذ بداية حواره على ضبط المعادلة بين عنصري الاندماج والاستقلال مع الطرف الآخر، بحيث يكون هناك اندماج بينهما في الوقت الذي يحافظ فيه على مكانته وخصوصيته، ولاسيما إذا كان حاكمًا أو قائدًا.

وفي هذا المقام يقول الشاعر:

تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب بفضلها
ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها
إلا ليعرف حلمها ويُخاف شدة جهلها

---

١ – سورة التوبة. الآية رقم ١٢٨.

obeikandi.com

وقد حدث هذا الأمر مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي كان متواضعًا مع أصحابه، قريبًا منهم، متآلفًا معهم، يشعرهم بقربه إليهم وبمودته لهم وببساطته معهم، مما جعل أحد المسلمين ينسى قدر رسول الله ومكانته، فيتجاوز حدوده، ويتهمه بأنه يحكم بهواه، فما كان من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا أن يضبط المعادلة بينهما:

روى البخاري في صحيحه أن الزبير كان يحدث أنه خاصم رجلاً من الأنصار- قد شهد بدرًا- إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في شراج من الحرة كانا يسقيان به كِلاهما، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للزبير: "اسق يا زبير، ثم أرسل إلى جارك".

فغضب الأنصاري فقال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم). ثم قال: "اسق، ثم احبس حتى يبلغ الجدر".[1]

فاستوعى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حقه للزبير، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل ذلك أشار على الزبير برأي سعة له وللأنصاري، فلما أَحفظ الأنصاري رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، استوعى للزبير حقه في صريح الحكم.

وهنا نرى أن الأنصاري تجرأ وتجاوز حدوده مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في اتهامه له بأنه قدم ابن عمته في الحكم، فأراد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يضبط معادلة الاندماج بين الأنصاري وبينه، فلا يتهمه مرة أخرى بأنه يحكم بهواه، والله يقول عنه:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾".[2]

وأمر الزبير أن يسقي ويحبس الماء حتى يبلغ الجدار الذي يجتمع فيه الماء في أصول الشجر، ثم بعد ذلك يترك الماء للأنصاري، وذلك لم يكن في حكمه أولاً عندما قال: "اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك" فكان الأمر له أن يسقي فحسب ولا يحبس حتى يبلغ الماء الجَدر.

١- صحيح البخاري. كتاب الصلح، حديث رقم ٢٤٣٤.

٢- سورة النجم. الآية رقم ٣.

٦- التوكيل:

قد تكون هناك بعض الأسباب التي تحول دون اللقاء المباشر لطرفي الحوار – مثل ضيق الوقت، أو الرغبة في معرفة رأي الطرف الآخر بشكل غير مباشر، أو رسوخ عادات اجتماعية معينة، أو تدريب بعض الأشخاص وصقل مهاراتهم على عمل المحاورات، أو وجود فرق كبير في المكانة الرسمية بين الأطراف... إلخ – وهنا يلجأ المحاور إلى هذا الأسلوب الذي يعتمد على إرسال وكلاء عنه لتبادل وجهات النظر بين الطرفين.

ونأخذ مثالين لهذا من سنة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم):

جاءت خولة بنت حكيم إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) – بعد موت خديجة (رضي الله عنها) – وسألته:

- **يا رسول الله ألا تتزوج؟**
- **من؟**
- **إن شئت بكرًا، وإن شئت ثيبًا.**
- **فمن البكر؟**
- **أحن خلق الله بك، بنت أبي بكر.**
- **ومن الثيب؟**
- **سودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول.**

هنا يعطيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الإذن أو التوكيل لنقل رغبته ومعرفة وجهة نظر الطرف الآخر قائلاً:

- **فاذهبي فاذكريهما عليَّ.**

فانطلقت خولة بنت حكيم إلى بيت سودة بنت زمعة أولاً ودخلت عليها وقالت:

- **ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟**
- **وما ذاك؟**

obeikandi.com

- أرسلني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخطبك عليه.
- وددت. ادخلي على أبي فاذكري ذلك له. فدخلت خولة على أبي سودة، وحيته فقال:
- من هذه؟
- خوله بنت حكيم.
- فما شأنك؟
- أرسلني محمد بن عبد الله أخطب سودة.
- كفء كريم. ما تقول صاحبتك؟
- تحب ذلك.
- ادعيها إليَّ.

فدعتها فقال لها:

- أي بنية، إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك ، وهو كفء كريم ، أتحبين أن أزوجك منه ؟
- نعم .

فالتفت الشيخ إلى خولة بنت حكيم وقال :

- ادعيه إليَّ .

وانطلقت خولة بنت حكيم إلى بيت أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، ودخلت على زوجه أم رومان ، وقالت لها:

- ماذا أدخل الله عليكم من البركة والخير؟ قد أرسلني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخطب عليه عائشة.
- انتظري أبا بكر حتى يأتي.

فلما جاء أبو بكر قالت له :

- يا أبا بكر، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟
- وما ذاك ؟

obeikandl.com

- قد أرسلني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخطب عليه عائشة .
- وهل تصح له؟ إنما هي بنت أخيه.

فرجعت خولة إلى رسول الله فذكرت له ذلك فقال:

- ارجعي إليه فقولي له:
- أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام ، وابنتك تصلح لي.

فرجعت فذكرت ذلك لأبي بكر الذي كان قد وعد مطعم بن عدي عندما ذكرها على ابنه جبير، وهو لا يخلف وعدًا، فذهب إلى دار مطعم، وسأله:

- ما تقول في أمر هذه الجارية ؟

فسأل مطعم امرأته:

- ما تقولين يا هذه ؟

فأقبلت على أبي بكر وقالت :

- لعلنا إن أنكحنا هذا الفتى إليكم تصبئه وتدخله في دينك الذي أنت عليه .

فأقبل أبو بكر على المطعم وقال له :

- ماذا تقول أنت ؟
- إنها لتقول ما تسمع.

فذهب ما كان في نفس أبي بكر من وعد للمطعم ، ورجع إلى خولة بنت حكيم وقال لها:

- ادعي لي رسول الله. [1]

وهكذا عرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رأي سودة وأبيها ورأي أبي بكر وأسرته عن طريق توكيل شخص (امرأة) آخر لإجراء الحوار.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد وكَّلَ سعد بن معاذ في الحكم على بني قريظة، فقد روى البخاري في صحيحة: "عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال:

١- محمد رسول الله والذين معه. الجزء الحادي عشر (الهجرة).

obeikandl.com

لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد– هو ابن معاذ– بعث [1] رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكان قريبًا منه، فجاء على حمار، فلما دنا قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): قوموا إلى سيدكم ، فجاء فجلس إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال له: إن هؤلاء نزلوا على حكمك ، قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة ، وأن تسبى الذرية. قال: لقد حكمت فيهم بحكم الملك". [2]

٧– التدرج.

يعتمد هذا الأسلوب في الحوار على تحقيق الأهداف خطوة خطوة، ويستخدمه المحاور في حالة عدم معرفته بالطرف الآخر، وقلة خبرته في التعامل معه، فيضع أهدافًا مرحليه يعمل على تحقيقها، حتى يمكنه تحقيق الهدف النهائي.

وقد علم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصحابه هذا الأسلوب ، فعندما بعث معاذًا إلى اليمن ، أمره بأن يتبع أسلوب التدرج في تحقيق هدفه في الدعوة إلى الإسلام، ويتضح هذا في الحديث التالي الذي رواه مسلم في صحيحه:

"عن ابن عباس أن معاذًا قال: بعثني رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال: إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم: أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقه تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ".

٨– الكَرُّ والفَرُّ:

في الحوار الذي يتبع فيه هذا الأسلوب، يحاول أحد الأطراف تغيير موقفه من آن لآخر طبقًا لظروف الحوار ومجرياته، فيتحرك مرة إلى الأمام، وأخرى إلى الخلف، يعادي مرة ويراضي مرة أخرى، يهدد مرة ويستعطف أخرى، وذلك في سبيل الوصول إلى هدفه. وفي المثال التالي نرى أبا بكر الصديق يوقف شخصًا عن استعمال هذا الأسلوب مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

١– بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في طلب سعد بن معاذ وكان سعد قريبًا منه، لأنه (صلى الله عليه وسلم) قد جعله في خيمة رفيدة الأسلمية، ليعوده من قريب في مرضه الذي أصابه من تلك الرمية.

٢– صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٢٧٢٣.

روى البخاري في صحيحه أنه لما خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زمن الحديبية ونزل بأقصاها، جاءه عروة بن مسعود يكلمه قائلاً:

"أي محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك؟ هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى [1] ، فإني والله لأرى وجوها، وإني لأرى أوشابًا [2] من الناس، خليقًا أن يفروا ويدعوك. فقال له أبو بكر: امصص ببظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟"

هنا نرى عروة بن مسعود يستخدم أسلوب الكر والفر، فتارة يحاول أن يستعطف رسول الله على قومه ، وتارة أخرى يحاول أن يخيفه مِنْ قومه، وأن مَنْ معه من أصحابه من قبائل شتى لن يثبتوا معه..

ولكن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) لا يتركه يكر ويفر، بل يرد عليه بجملة تبين له بكل شدة ووضوح أنه لا يعرف أصحاب محمد، ولا يعرف مكانة محمد عندهم: "امصص ببظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟"

وما كان لأبي بكر (رضي الله عنه) أن يتلفظ بذلك إلا لأن الموقف كان يحتاج إلى ذلك.

٩- الخداع:

يستخدم هذا الأسلوب عندنا- عند المسلمين- أثناء الحروب أو الصراع، وذلك لمعرفة تحركات العدو وإخفاء تحركاتنا، أو إظهار أننا سنتحرك يمينًا بينما سيكون تحركنا الفعلي إلى اليسار. ومن الخداع- أيضًا- أن يتعمد طرف إلقاء بعض البيانات غير الصحيحة أو الكاذبة عن الموقف.

وقد أقر ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالقول والفعل، فقال (عليه الصلاة والسلام):

"الحرب خدعة". [3]

أما الإقرار بالفعل فإنه يتضح لنا من الأمثلة التالية:

١- "وإن تكن الأخرى": جواب الشرط محذوف يدل عليه ما بعده، والتقدير وإن تكن الأخرى لم ينفعك أصحابك.

٢- أخلاطًا من الناس من قبائل شتى.

٣- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير.حديث رقم ٢٧١٢.

كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا أراد غزوة أو سفر ورَّى [1]. وكانت توريته أنه إذا أراد قصد جهة سأل عن طريق أخرى إيهامًا أنه يريدها، وإنما يفعل ذلك لأنه أَتمُّ فيما يريده من إصابة العدو.

"عن كعب بن مالك (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها." [2]

وقد جاء الاستثناء في ذلك بلفظ: " إلا في غزوة تبوك فإنه أظهر لهم مراده ". [3]

وأورد ابن كثير في " البداية والنهاية " [4] أنه لما أسلم نعيم بن مسعود أيام الخندق، أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال:

- يا رسول الله: إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

- إنما أنت فينا رجل واحد، فخذِّل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة" .

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أشد الحاجة إلى طريقة تمنع جيوش الأحزاب من الهجوم على المدينة التي جاءوا لاجتثاث المسلمين منها، وهم باقون حول الخندق حتى تتاح لهم الفرصة لتحقيق هدفهم. .

عرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من حواره الذي أجراه مع نعيم أنه لا أحد يعرف بإسلامه، فلم يضيع هذه الفرصة، وطلب منه أن يصنع خدعة تخفف مما يواجهه المسلمون. "خرج نعيم بن مسعود حتى أتى قريظة، وكان لهم نديمًا في الجاهلية فقال يابني قريظة، قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم. فقالوا :

- صدقت، لست عندنا بمتهم .

فقال لهم:

إن قريشًا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشًا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه،

١- أراد الشيء وأظهر غيره .

٢- صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير.

٣- سبل السلام. الجزء الرابع، كتاب الجهاد، ص ١٣٤٢ .

٤- البداية والنهاية. ج٤ ، ص ١١١ .

وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم ونساؤهم وأموالهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم، يكونون بأيديكم، ثقة لكم، على أن تقاتلوا معهم محمدًا حتى تناجزوه .

قالوا :

- لقد أشرت بالرأي."

لقد تحقق لنعيم بن مسعود تنفيذ جزء من خطته أو خدعته مع اليهود، وهي لا تكتمل حتى ينفذها مع الطرف الآخر (الأحزاب)، ولذلك ترك اليهود، قاصدًا الأحزاب، حتى أتى قريشًا، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش:

- قد عرفتم ودي لكم، وفراقي محمدًا، وأنه قد بلغني أمرٌ قد رأيت عليَّ حقًا أن أبلغكموه، نصحًا لكم، فاكتموا عني.

قالوا:

- نفعل.

قال:

- تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين- من قريش وغطفان- رجالاً من أشرافهم، فنعطيكهم، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم .

فأرسل إليهم أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنًا من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحدًا".

مادت رءوس الكفر بما قاله نعيم، ولكنهم يريدون أن يستوثقوا...

تركهم أبو نعيم وهم يفكرون... قصد القوة الكبيرة الثانية في الأحزاب... غطفان... وعندما وصل إليهم، قال:

- يامعشر غطفان، إنكم أهلي وعشيرتي، وأحبُّ الناس إليَّ، ولا أراكم تتهموني.

قالوا : صدقت، ما أنت عندنا بمتهم .

قال : فاكتموا عني .

قالوا: نفعل .

ثم قال مثل ما قال لقريش، حذرهم ما حذرهم. "

وحدث لرءوس غطفان ما حدث لرءوس قريش، والتقت الرءوس تفكر وتتشاور، لابد أن يستوثقوا مما قاله نعيم. ..

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صنيع الله (تعالى) لرسوله (صلى الله عليه وسلم) أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقال لهم :

- إنّا لسنا بدار مقام، هلك الخف والحافر، فأعدوا للقتال، حتى ننـاجز محمدًا، ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم :
- إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثًا، فأصابهم ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رهنًا من رجالكم يكونوا بأيدينا، ثقة لنا، حتى نناجز محمدًا، فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. "

لقد فعل اليهود ما أراده نعيم، وأوشكت الخطة على النجاح...

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان:

- والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق .

فأرسلوا إلى بني قريظة :

- إنَّا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحدًا من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال، فاخرجوا فقاتلوا.

فقالت بنو قريظة حيث انتهت الرسل بهذا :

- إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا، فإن رأوا فرصة، انتهزوها، وإن كان غير ذلك، انشمروا إلى بلادهم، وخلَّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم .

فأرسلوا إلى قريش وغطفان :

- إنَّا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهنًا.
- فأبوا عليهم وخذَّل الله بينهم، وبعث الله الريح في ليلة شاتية، شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم. "

لقد حقق الله هدف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهدف نعيم بن مسعود من عملية الخداع، فلما اشتدت الريح على الأحزاب قال أبو سفيان :

- يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل.

وروى البخاري في صحيحه "عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال:

- من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله ؟
- قال محمد بن مسلمة :
- أتحب أن أقتله يا رسول الله ؟

قال:

- نعم.

قال: فأتاه فقال: إن هذا– يعني النبي (صلى الله عليه وسلم)– قد عنَّانا[1] وسألنا الصدقة.

قال: وأيضًا والله لتملنه. [2]

قال: فإنَّا قد اتبعناه، فنكره أن ندعه حتى ننظر إلى ما يصير أمره .

قال: فلم يزل يكلمه حتى استمكن منه فقتله. [1]

١- أي: أتعبنا بما كلفنا من الأوامر والنواهي التي فيها عناء .

٢- أي: تزيد ملالتكم وتتضجرون منه .

obeikandl.com

هنا نرى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أذن بقتل كعب بن الأشرف، فتولى محمد بن مسلمة ذلك، ولكنه اختار طريق الخداع ليصل إلى غرضه، فأتاه فزعم له أن محمدًا قد أتعب المسلمين وأرهقهم بأوامره ونواهيه وأخذ أموالهم، فوافقه كعب، بل أضاف تأكيده لمحمد بن مسلمة أن المسلمين سيملونه، وهنا زاد محمد بن مسلمة من خداعه له، فلم يقل له: إني ارتددت، حتى لا يقع الشك في صدر كعب في صدق كلامه، بل قال له إننا سنصبر عليه غير راضين حتى نرى ما يصير إليه أمره، فاطمأن له كعب تمامًا، فلم يزل يكلمه حتى استمكن منه فقتله.

كما إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أذن في مخادعة كعب، فصرح لمحمد ابن مسلمة أن يقول ما يراه صالحًا لتنفيذ المهمة، فقد روى البخاري في صحيحه رواية أخرى "عن جابر عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، قال:

- من لكعب بن الأشرف؟

فقال محمد بن مسلمة:

- أتحب أن أقتله؟

قال:

- نعم.

قال: فأْذن لي فأقول. [٢]

قال: قد فعلت ". [٣]

١٠- التسويف أو الصمت الموقت:

يقوم مضمون هذا الأسلوب على عدم التسرع في إعطاء الإجابة، وتأجيل، ومحاولة تغيير مجرى الحديث أو الرد بسؤال مضاد، ومحاولة الاستفادة من الوقت. وهذا الأسلوب يفيد عندما يبدو الطرف الآخر طالبًا للمزيد من المعلومات .

وقد استخدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذا الأسلوب كما سنعرف من المثال التالي:

٣- صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير ، حديث رقم ٢٧١٣ .

١- أي: أقول عني وعنك ما أراه من المصلحة في حواري معه .

٢- صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٢٧١٤ .

obeikandi.com

"ارتحل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من ذفران حتى نزل قريبًا من بدر، فركب (عليه الصلاة والسلام) هو وأبو بكر (رضي الله عنه) حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله (صلى الله عليه وسلم) عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ :

- لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما .
- فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم):
- إذا أخبرتنا أخبرناك .

فقال الشيخ :

- ذاك بذاك؟
- نعم .
- فإنه قد بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صَدَق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا.

وذكر المكان إلى نزل به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه، وقال :

- وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني به صَدَق، فهم بمكان كذا وكذا. (المكان الذي نزلت به قريش) .

فلما فرغ من خبره قال :

- من أنتما ؟

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

- نحن من ماء .

ثم انصرفا عنه فقال الشيخ:

- من ماء ؟ أَمِنْ ماء العراق ؟ [1]

١- كتاب محمد رسول الله . الجزء الثانى عشر (غزوة بدر) .

obeikandi.com

١١- تقديم بعض التنازلات:

إذا كان تحقيق الهدف أمرًا غاية في الصعوبة، أو سيأتي بمضار كبيرة غير محدودة المدى، فإن المحاور الناجح هنا يلجأ إلى تقديم بعض التنازلات، حتى يتجنب المضار ويحقق جزءًا من هدفه إلى أن تتاح فرصة أخرى يُمكن أن يُتفق عليها بين الطرفين، أو يُعد هو لهذه الفرصة بمفرده، فيتحقق حينئذٍ هدفه بالكامل دون ضرر أو بأقل قدر منه.

ولا تعتبر هذه التنازلات تهاونًا أو ضعفًا، بل إنها تدل على العقلانية والواقعية.

ونرى مثلاً لذلك في أمر صلح الحديبية، وذلك من خلال الروايات التالية فيه:

روى مسلم في صحيحه:

عن البراء، قال: لما أحصر النبي (صلى الله عليه وسلم) عند البيت، صالحه أهل مكة، على أن يدخلها، فيقيم بها ثلاثًا، ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح، السيف وقرابه، ولا يخرج بأحد معه من أهلها، ولا يمنع أحدًا يمكث بها ممن كان معه..

قال لعلي: اكتب هذا الشرط بيننا: بسم الله الرحمن الرحيم، وهذا ما قاضى عليه محمد رسول الله... فقال له المشركون: لو نعلم أنك رسول الله تابعناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله.

فأمر عليًا أن يمحاها .

فقال على: لا والله لا أمحاها .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أرني مكانها.

فأراه مكانها، فمحاها وكتب: ابن عبد الله .

فأقام بها ثلاثة أيام. فلما أن كان اليوم الثالث قالوا لعلي: هذا آخر يوم من شرط صاحبك، فأمره فليخرج..

فأخبره بذلك، فقال: نعم، فخرج .[١]

وروى مسلم أيضًا في صحيحه :

١- كتاب الجهاد والسير. باب صلح الحديبية، حديث رقم ٨٦ .

obeikandl.com

عن أبى إسحاق، قال: سمعت البراء بن عازب يقول: كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي (صلى الله عليه وسلم) وبين المشركين يوم الحديبية، فكتب: هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله... فقالوا: لا تكتب " رسول الله " فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لعلي: امحه.

فقال: ما أنا بالذي أمحاه .

فمحاه النبي (صلى الله عليه وسلم) بيده .

قال: وكان فيما اشترطوا أن يدخلوا مكة فيقيموا بها ثلاثًا، ولا يدخلها بسلاح إلا جلبان السلاح. فقلت لأبي اسحاق: وما جلبان السلاح ؟

قال: القراب وما فيه. [1]

وروى مسلم– كذلك– في صحيحه:

عن ثابت عن أنس أن قريشًا صالحوا النبي (صلى الله عليه وسلم) فيهم سهيل بن عمرو، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لعلي :

اكتب بسم الله الرحمن الرحيم .

قال سهيل: أما اسم الله فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم، ولكن اكتب ما نعرف: باسمك اللهم .

فقال: اكتب من محمد رسول الله .

قالوا: لو علمنا أنك رسول الله لاتبعناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

فقال النبيُّ (صلى الله عليه وسلم): اكتب من محمد بن عبد الله.

فاشترطوا على النبي (صلى الله عليه وسلم) أن من جاء منكم لم نرده عليكم، ومن جاء منا رددتموه علينا.

فقالوا: يا رسول الله أنكتب هذا ؟

قال: نعم، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا. [2]

١– كتاب الجهاد والسير. باب صلح الحديبية، حديث رقم ٨٥ .

٢– كتاب الجهاد والسير. باب صلح الحديبية، حديث رقم ٨٧ .

obeikandi.com

وهذه آخر رواية نقدمها في هذا الأمر.. رواها مسلم في صحيحه:

عن أبي وائل، قال: قام سهل بن حنيف يوم صفين، فقال: أيها الناس اتَّهِمُوا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا ، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبين المشركين، فجاء عمر ابن الخطاب، فأتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال: يا رسول الله، ألسنا على حق وهم على باطل؟

قال: بلى.

قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟

قال: بلى.

قال: ففيم نعطى الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟

فقال: يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدًا.

قال: فانطلق عمر، فلم يصبر متغيظًا، فأتى أبا بكر...

فقال: يا أبا بكر، ألسنا على حق وهم على باطل؟

قال: بلى.

قال: أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟

قال: بلى .

قال: فعلام نعطى الدنية في ديننا ونرجع، ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟

فقال: يا ابن الخطاب، إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبدًا .

قال: فنزل القرآن على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالفتح، فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه.

فقال: يا رسول الله، أو فتح هو ؟ قال: نعم. فطابت نفسه ورجع. [1]

١- كتاب الجهاد والسير. باب صلح الحديبية، حديث رقم ٨٨ .

obeikandi.com

وإذا كنت قد أوردت أمر هذا الاتفاق بإيجاز في أساس " تحقيق الممكن "، فإني قصدت بإيراده هنا وتقديم كل هذا العدد من الروايات فيه أن أبين أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قدم تنازلات كبيرة في هذا الاتفاق، وكانت هذه التنازلات شاقة على نفسه، شاقة على نفوس أصحابه.. لكنه كان يُهدِّئ من غضب أصحابه ويطمئنهم.. فهو في مفترق الطرق.. فإما أن يفعل هذا، أو تكون الحرب القاسية بينه وبين قريش. وعلى الرغم من قوة جيشه (صلى الله عليه وسلم) حينئذٍ، وعلى الرغم من سفره وأصاحبه مسافة كبيرة من المدينة إلى أطراف مكة، وعلى الرغم من عزمهم على دخول مكة، فإنه (صلى الله عليه وسلم) آثر السلام، لتكون السلامة له ولأصحابه، ولتكون السلامة لأهل مكة الذين دخلوا في الإسلام عندما عاد إليها محمد (صلى الله عليه وسلم) في العام التالي.

١٢- الانسحاب الهادئ:

عندما يجد المحاور أن الباب مغلق تمامًا أمامه حتى يصل إلى هدفه.. وإذا ما طرقه فإن أصحابه يبدون أسبابًا منطقية لغلقه..فهل بالقوة يحاول فتحه أو كسره؟

لا.. إن الحكمة- هنا- تقضي أن يبدي تقبله للأسباب.. ويأخذ منهم وعدًا على التفكير في فتح الباب... وينسحب انسحابًا هادئًا، يحفظ به نفسه من الصدَّ أو الردَّ.. ويفتح لنفسه المجال للأَيبِ أو العَوْد..

وهذا مثال على ذلك نتعلمه من صاحب لواء الحمد (عليه الصلاة والسلام) :

بعد أن عرض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نفسه على قبيلة كندة[1] ومعه أبو بكر وعلي (رضي الله عنهما) وفشلوا في التوصل إلى هدفهم بسبب حوار دار بين أبي بكر ودغفل بن حنظلة، تعرضا فيه للأنساب في حوار طويل ضل طريقه عن هدفه وأقرأبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أنه ما كان له أن يدخل في هذا الحوار الذي لم يصل بهم إلى بغيتهم، قال علي (كرم الله وجهه) :

ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات، فتقدم أبو بكر فسلم .. قال علي: وكان أبو بكر مقدمًا في كل خير فقال: ممن القوم؟

١- البداية والنهاية. ابن كثير..الروض الأنف للسهيلي.

قالوا: من بني شيبان بن ثعلبة .

فالتفت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال :

بأبي أنت وأمي، ليس بعد هؤلاء من عز في قومهم. وفي رواية: ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم، وهؤلاء غرر في قومهم، وهؤلاء غرر الناس.

وكان في القوم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان ابن شريك، وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق بن عمرو، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانًا ولسانًا، وكانت له غديرتان [1] تسقطان على صدره، فكان أدنى القوم مجلسًا من أبي بكر، فقال له أبو بكر:

- كيف العدد فيكم؟

فقال لنا: إنَّا لا نزيد على ألف، ولن تغلب ألف من قلة .

فقال له: فكيف المنعة فيكم ؟

فقال: علينا الجهد، ولكل قوم جد .

فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟

فقال مفروق: إنَّا أشد ما نكون لقاءً حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح [2]، والنصر من عند الله، يديلنا [3] مرة ويديل علينا، لعلك أخو قريش.

فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله، فها هو هذا.

فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك .

ثم التفت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فجلس وقام أبو بكر يظله بثوبه.

فقال (صلى الله عليه وسلم): " أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله، وأن تُئوُني وتنصروني، حتى أؤدي عن الله الذي أمرني به، فإن قريشًا قد تظاهرت على أمر الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد ".

١- الغديرة: الذؤابة المضفورة من شعر المرأة. (المعجم الوسيط)

٢- اللقاح: طلع الفُحَّال، والحي الذي لا يدينون للملوك أو لم يصبهم في الجاهلية سباء، واللقوح الناقة الحلوب، والمرأة المرضعة (القاموس المحيط) .

٣- أي: ينصرنا .

obeikandi.com

قال لـه: وإلامَ تدعو أيضًا يا أخا قريش ؟

فتلا رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبكُم عَلَيْكُم أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهَ شَيئاً وَبِالْوَالِدَين إِحْسَانا" [1] إلى قولـه: "ذَلِكمَ وَصاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتقُون". [2]

فقال لـه مفروق: وإلامَ تدعو أيضًا يا أخا قريش، فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم، لعرفناه. ..

فتلا رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ الله يَأمْرُ بالعَدْلِ والإِحْسَانِ وَإِيْتَاءِ ذِى القُربَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَر وَالبَغي يَعِظْكم لَعَلَّكُم تَذَكَرُونَ".[3]

فقال لـه مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أَفِكَ قوم كذبوك وظاهروا عليك... وكأنـه أحب أن يشرك في الكلام هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا.. فقال لـه هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وصدَّقت قولك، وإني أرى أن تركنا ديننا، واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس لـه أول ولا آخر لم نتفكر في أمرك وننظر في عاقبة ما تدعو إليه، زلة في الرأي، وطيشة في العقل، وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، وإن من ورائنا قومًا نكره أن نعقد عليهم عقدًا، ولكن ترجع ونرجع، وتنظر وننظر... وكأنـه أحب أن يشرك في الكلام المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى شيخنا، وصاحب حربنا...

فقال المثنى: قد سمعت مقالتك، واستحسنت قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلمت بـه، والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة، وتركنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا، وإنَّا إنما نزلنا بين صريين أحدهما اليمامة، والآخر السماوة...

فقال لـه رسول الله (صلى الله عليه وسلم): وما هذا الصريان؟

فقال لـه: أما أحدهما، فطفوف البر، وأرض العرب، وأما الآخر، فأرض فارس وأنهار كسرى، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثًا، ولا نُؤوي محدثًا... ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب

١- سورة الأنعام. الآيـه رقم ١٥١ .

٢- سورة الأنعام.الآيـه رقم ١٥٣ .

٣- سورة النحل. الآية رقم ٩٠ .

فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وأما ما كان يلي بلاد فارس، فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي العرب، فعلنا.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ما أسأتم الرد، إذ أفصحتم بالصدق، إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه..

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيرًا حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم، ويفرشكم بناتهم، أتسبحون الله وتقدسونه ؟

فقال له النعمان بن شريك: اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش.

فتلا رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ومُبَشِرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إلى الله بِإِذْنِه وَسِرَاجًا مُنيرًا" [1].. ثم نهض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قابضاً على يدي أبي بكر.

قال على: ثم التفتَ إلينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا علي أية [2] أخلاق للعرب كانت في الجاهلية – ما أشرفها – بها يتحاجزون في الحياة الدنيا .

١- سورة الأحزاب. من الآية ٤٥، والآية ٤٦ .

٢- ورد في هامش " البداية والنهاية ": كذا في الروض الأنف للسهيلي، وفي الأصل: أبت أخلاق في الجاهلية ما أشرفها.. إلخ.

obeikandl.com

ثانيًا: اتجاهات الحوار :

تملي طبيعة الحوار وظروفه على المحاور أن يتخذ أحد الاتجاهات الآتية :

١- يعمل على إشباع حاجات نفسه .

٢- يعمل على إشباع حاجات خصمه .

٣- يعمل المحاور ضد حاجات خصمه .

٤- يعمل المحاور ضد حاجات نفسه .

أما الاتجاهان الأول والثالث، فهما اتجاهان طبيعيان عند العامة ولا يحتاجان لضرب أمثلة، ولكن يكفي أن نذكر بخصوصهما حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت". [١]

إن الأصل هنا كما يتبين من الحديث أن المؤمن لا ينطق إلا بخير، فإن كان الأمر كذلك- وهو كذلك- فإن المؤمن في حواره مع الآخر لا ينطق إلا بما يحقق الخير، سواء أكان ذلك لنفسه أم لغيره، فهو يعمل على إشباع حاجات نفسه، وهو هنا يفضُل العامة في أنه لا يعمل ضد حاجات خصمه.

أما الاتجاهان الثاني والرابع فنضرب لهما المثالين الآتيين :

١- إشباع حاجات الطرف الآخر .

من النادر حاليًا أن يهتم طرف بإشباع حاجات الطرف الآخر، لكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يأخذ في اعتباره حاجات محاوره، ويعمل على تحقيقها، ولا يهمل ذلك حتى في أصعب الأوقات، ونأخذ مثالاً على ذلك بالرواية التالية:

يقول ابن كثير: [٢]

وقال ابن إسحاق: وحدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية وهو مستنتل من الصف، فطعن في بطنه بالقدح وقال:

١- صحيح مسلم. باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت، حديث رقم ٧١ .

٢- البداية والنهاية. ج ٣، ص٢٧١ .

- " استو ياسواد ".

قال (أي سواد):

- يا رسول الله، أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقدني.

فكشف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن بطنه فقال:

- "استقد".

قال: فاعتنقه فقبَّل بطنه.

فقال (أي رسول الله صلى الله عليه وسلم):

- "ما حملك على هذا يا سواد"؟

قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك.

فدعا له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بخير.

ما هذا الذي يحدث؟!

قبل لحظات من قطع الرقاب.. وسيل الدماء والعويل والخراب.. والقائد يتفقد النبال والسيوف والحراب... وينظم جنده فيوجع شخصًا دون قصد بلا ارتياب.. فكيف لهذا أن يقتاد من قائده المهاب .. إلا إذا كان يعرف أنه لا يصدر منه ما يُعاب..

صلى الله عليك وعلى آلك يا من أرسلت معلمًا وقائدًا وهاديًا..

٢- يعمل المحاور ضد حاجاته :

إن كان هذا أمرًا غير طبيعي، لكنه قد يحدث في بعض الأحيان بسبب عناد صاحبه أو جهله أو تكبره، فينبهه غيره إلى الخير الذي أمامه ويمكن أن يحققه لنفسه، لكن العزة بالإثم تدفعه لأن يسلك مسلكًا آخر .

وقد واجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه هذا النوع، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

لما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في المسجد بعد أُحد وكان معه أصحابه، خرج عبد الله بن أُبيّ من المسجد، بعد أن زجره أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسبب نفاقه.."فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد، فقالوا : ويلك مالك ؟

قال: قمت أشدد أمره، فوثب إليّ رجال من أصحابه يجبذونني ويعنفونني، لكأنما قلت بُجرًا[١] أن قمت أشدد أمره.

قالوا: ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

قال: والله ما أبغي أن يستغفر لي."[٢]

ولما طلب عمرو بن عبد ود أن يبارز أحد المسلمين أيام الخندق ظهر له عليٌّ بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، ولكن عليًا أراد أن يفعل به الخير فيدعوه إلى الإسلام بدلاً من أن يقتل أو يُقتل فقال له:

- يا عمرو، إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه.

قال: أجل.

قال له عليَّ: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام .

قال: لا حاجة لي بذلك.[٣]

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حرب، فرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالسيف فقال :[٤]

- من يمنعك مني ؟

١- البُجْر:الشر، والعجب، والأمر العظيم.(المعجم الوسيط).
٢- البداية والنهاية. ج ٤، ص ٥١.
٣- البداية والنهاية، الروض الأنف للسهيلي.
٤- متفق عليه من حديث جابر بنحوه، وهو في مسند أحمد أقرب إلى لفظ المصنف، ويسمى الرجل: غورث بن الحارث. (إحياء علوم الدين، ج٧. ص ١٣٢٠) .

obeikandi.com

فقال: "الله".

قال: فسقط السيف من يده.. فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) السيف.. وقال: "من يمنعك مني؟"

فقال: كن خير آخذ.

قال: "قل: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأني رسول الله ".

قال: لا.. غير أني لا أقاتلك، ولا أكون معك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك.

فخلى سبيله.. فجاء أصحابه، فقال: جئتكم من عند خير الناس.

obeikandl.com

ثالثًا- كفاءات الحوار:

لابد للمحاور الناجح أن تتوافر فيه كفاءات الحوار التي من أهمها:

١-كفاءة الحوار اللغوية:

من البديهي للمحاور الناجح أن يتقن اللغة التي يتحاور بها، وخصوصًا في النقاط الثلاث التالية:

أ- فهم ثقافات اللغة:

لا يتعامل المحاور مع شخص واحد أو جماعة واحدة، ولكنه يتعامل مع أنواع مختلفة تؤثر على لغتهم عوامل مختلفة أيضًا، وثقافات مختلفة، فيجب على المحاور الناجح أن يكون ملمًا بدقائق اللغة مهما تعددت ثقافة الناطقين بها.ونضرب أمثلة توضح إلمام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بدقائق اللغة حتى أنه كان يفهم من يحدثه مهما استخدم من ألفاظ من ثقافات مختلفة وكان يرد عليه بمثل ثقافته اللغوية، وكان يكلم أصحابه أحيانًا بكلمات فيها من ثقافات مختلفة.

روى البخاري: "عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال:قلت[١]: يا رسول الله، ذبحنا بهيمة لنا، وطحنت صاعًا من شعير، فتعال أنت ونفر، فصاح النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا أهل الخندق، إن جابرًا قد صنع سؤرًا [٢]، فحي هلا [٣] بكم ".[٤]

وروى البخاري: عن أم خالد بنت خالد بن سعيد، قالت: أتيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع أبي وعليَ قميص أصفر، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): سنه سنه – قال عبد الله: وهى بالحبشية حَسَنَةٌ – قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة، فزبرني [٥] أبى، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): دعها، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أبلي وأخلفي [٦]، ثم أبلي وأخلفي، ثم أبلي وأخلفي" .[٧]

١- يوم الخندق.

٢- "سؤراً" بالواو في غير اليونينية، وجاء فيها بالهمزة يعني طعامًا دعا إليه الناس [هامش صحيح البخاري، ج٥، ص ١٨٦].

٣- أقبلوا فأسرعوا أهلا بكم. ووقع في "حي هلا" في اليونينية بشد اللام من غير تنوين. [هامش صحيح البخاري، ج٥، ص ١٨٦].

٤- صحيح البخاري ج٥، ص ١٨٦.

٥- نهرني.

٦- "أخلفي" بالفاء في اليونينية في المواضع الثلاثة، بمعنى العوض والبدل، وفي غير اليونينية " أخلقي " بالقاف، أي: البسيه كثيرًا حتى يكون خلقًا ممزقًا [هامش صحيح البخاري. الجزء الخامس صفحة ١٨٦].

٧- صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير. حديث ٢٧٤٢.

وذكر ابن عبد ربه في عقده الفريد:

قدم جرير بن عبد الله البجلي على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فسأله عن منزله ببيشة [١]، فقال: سهل ودكداك، وسلم وأراك، وحمض وعلاك، إلى نخلة ونخلة، ماؤها ينبوع، وجنابها مريع، وشتاؤها ربيع .[٢]

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

"إن خير الماء الشبم، وخير المال الغنم، وخير المرعى الأراك، والسلم إذا أخلف كان لجينا [٣]، وإذا سقط كان درياً [٤] وإذا أكل كان لبينا. [٥]

وفي كلامه (عليه السلام): "إن الله خلق الأرض السفلى من الزبد الجُفاء، والماء الكُباء".[٦]

ب – فهم مكنونات اللغة:

أقصد بمكنونات اللغة المعاني الخفية غير الظاهرية للجملة، أي ما يسميه البعض:

قراءة ما بين السطور، أو ما يطلقون عليه فهم التفسيرات الثلاثة: التفسير الحرفي، والتفسير المجازي والتفسير " البراجماتي "، أي المتعلق بأدق تفاصيل سياق الجملة.

ونسوق مثالاً على ذلك من سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

روى مسلم في صحيحه :

"عن عبد الله قال: نادى فينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم انصراف الأحزاب ألا يصلين أحد الظهر [٧] إلاَّ في بني قريظة، فتخوف ناس فوت الوقت، فصلوا دون

---

١ – بيشة: قرية كانت غناء في واد كثير الأهل من بلاد اليمن. (العقد الفريد) .

٢ – الدكداك: ما تلبد من الرمل بالأرض ولم يرتفع كثيرًا.

والسلم : شجر من العضاه .

والأراك: شجر له حمل كعناقيد العنب .

والحمض: كل نبت في طعمه حموضة.

والعلاك: شجر ينبت بناحية الحجاز. (العقد الفريد، الجزء الثاني، ص ٤٩) .

٣ – الشبم :البارد. وأخلف: أخرج الخلفة.

واللجين: الخبط.

٤ – الدرين: حطام المرعى.

٥ – لبينا: أي مدرًا للبن .

٦ – الكُباء: أي العالي العظيم. (العقد الفريد، الجزء الثاني، ص٥٠).

١ – في رواية البخاري: العصر .

بني قريظة. وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وإن فاتنا الوقت. قال: فما عنف واحدًا من الفريقين. [1]

لقد فهم بعض الصحابة من قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "لا يصلين أحد الظهر" (أو العصر) إلاَّ في بني قريظة" أن يبادروا بالذهاب إلى بني قريظة، وألاَّ يشتغلوا عن ذلك بشيء، وأن يسرعوا في ذلك، لا أنَّ تأخير الصلاة مقصود في ذاته من حيث إنه تأخير، فأخذوا بهذا المفهوم، فصلوا حين خافوا فوت الوقت. وأخذ آخرون بظاهر اللفظ وحقيقته، فأخروها. ولم يعنف النبي (صلى الله عليه وسلم) واحدًا من الفريقين، لأن الأمر يحتمل ثلاثة تفسيرات:

- التفسير الحرفي: وهو ألاَّ تكون صلاة العصر في هذا اليوم إلا في بني قريظة.
- التفسير المجازي: وهو الحرص على السرعة في الوصول إلى بني قريظة قبل أن يحين وقت العصر.
- التفسير البراجماتي: وهو الدخول في حرب مع بني قريظة لتأديبهم .

ج – فهم طبيعة الأسئلة:

على المحاور الناجح أن يكون ملمًا بطبيعة الأسئلة من حيث أهدافها كجذب الانتباه، أو الحصول على المعلومات، أو إثارة التفكير، أو تنشيط الحوار، أو تغيير مجراه، أو كسب الوقت أو إضاعته، أو حصار الطرف الآخر، أو إرباكه.

وعليه أيضًا أن يكون ملمًا بكيفية توجيه الأسئلة، والأوقات المناسبة لتوجيهها، ويعرف أنواع الأسئلة، وما يطلقونه عليها من أسماء كأسئلة المرآة التي يقدم فيها السائل إجابات وتوضيحات عديدة للطرف المسئول ليستخلص منها إجابة أو رأيًا، ويقسمون هذه النوعية إلى أسئلة مفتوحة وأسئلة مغلقة .. إلى غير ذلك مما يطول شرحه.

٢- كتاب الجهاد والسير، باب جواز المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين المتعارضين. حديث رقم ٦٦ .

obeikandl.com

ونأخذ مثالاً لما واجهه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أسئلة مفتوحة ثم مغلقة، يجرونه فيها للنطق بالعموميات حتى يقر بالخصوصيات:

روى ابن كثير في "البداية والنهاية":

عن جابر بن عبد الله، قال: اجتمع قريش يومًا، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه، ولينظر ماذا يرد عليه. فقالوا: ما نعلم أحدًا غير عتبة بن ربيعة..

فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة ...

فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟

فسكت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ..

فقال: أنت خير أم عبد المطلب ؟

فسكت رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم، فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة [1] قط أشأم على قومه منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرًا ، وأن في قريش كاهنًا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى: أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة، جمعنا لك، حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباه، فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرًا .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): فرغت ؟

قال : نعم.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " بسم الله الرحمن الرحيم "تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ۞ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" [2] إلى أن بلغ:

"فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ" [3] .

١- كذا في الأصلين. وفي النهاية السخل: المولود المحبب إلى أبويه [هكذا في هامش البداية والنهاية ص ٦٢].

٢- سورة فصلت. الآيتان ٢ ، ٣.

٣- سورة فصلت .الآية رقم ١٣.

obeikandl.com

فقال عتبة: حسبك .. ما عندك غير هذا ؟

قال: لا .

فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك ؟

قال: ما تركت شيئًا أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته .

قالوا: فهل أجابك ؟

فقال: نعم ...

ثم قال: لا، والذي نصبها بنية ما فهمت شيئًا مما قال، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود .

قالوا: ويلك.. يكلمك الرجل بالعربية، لا تدري ما قال؟!

قال: لا.. والله ما فهمت شيئًا مما قال غير ذكر الصاعقة. [1]

عيوب هذا الحوار عند محاور رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

أ- استخدام الأسئلة المغلقة: فقد بدأ عتبة بن أبي ربيعة حواره مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسؤاله :يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ أي: أنت خير أم أبوك ؟ ثم يقول له: أنت خير أم عبد المطلب ؟ أي أنت خير أم جدك ؟ وهو يعلم أن أي إنسان مهذب سوف يقول عن أبيه وجده أنهما خير منه، وهو يعلم أدب محمد بن عبد الله ويتوقع منه أن يقول هما خير مني، وبالتالي يدخله فيما يسمى بـ " الإطلاقية في القبول أو الرفض "، أي إن قال: "هما خير مني" إذًا فهما خير منه في كل شيء، وقد عبدوا الآلهة، ويجب إذًا على محمد أن يحذو حذوهم في عبادة تلك الآلهة ويترك ما يدعو إليه.

لكن رسول الله يعلم ما وراء السؤال، فيجيبه بالسكوت .

لكن عتبة يطرح احتمالي الإجابة على رسول الله، فيقول له: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت. وإن كنت تزعم أنك خير منهم، فتكلم حتى نسمع قولك.

١- البداية والنهاية. ص ٦٢ .

obeikandl.com

ب- الاستهزاء بالطرف الآخر:

يتضح ذلك من كلام عتبة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند قوله: " وإن كنت تزعم أنك خير منهم "..

ج- لوم الطرف الآخر وإلقاء التهم عليه :

يتضح ذلك من كلام عتبة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند قوله: "ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا ...إلخ".

د- مساومة الطرف الآخر: يتضح ذلك من كلام عتبة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند قوله: "أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك ... إلخ".

هـ- عدم الأمانة في النقل: يتضح ذلك من قول عتبة لقريش: ما فهمت شيئًا مما قال، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود"..ثم يؤكد عدم فهمه بقسمه في قوله: " لا .. والله ما فهمت شيئًا مما قال غير ذكر الصاعقة".

فكيف لعتبة، الذي اختارته قريش لأنه أعلم الناس بالشعر.. رجزه وهزجه، وقريضة ومقبوضه ومبسوطه، كيف لذلك البليغ ألاَّ يفهم الآيات التي تلاها عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والتي يفهم منها أي ناطق بالعربية أن محمدًا (صلى الله عليه وسلم) هو بشر أرسله خالق السماوات والأرض والجبال ليبشرهم بنعيم الجنة إن أطاعوا، وينذرهم عذاب النار إن عصوا.

ومما يؤكد عدم أمانته في النقل:

- قول قريش: "ويلك.. يكلمك الرجل بالعربية، لا تدري ما قال؟!

- ما جاء في رواية أخرى من قول عتبة لقريش:

"ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سَحَرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم " .[1]

١- البداية والنهاية. ص ٦٤ .

فكيف بهذا الذي يقول: "سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة.. "ثم يكون رأيا فيقول: "هذا رأيي لكم.. "كيف لهذا أن يقول: "ما فهمت شيئًا مما قال غير ذكر الصاعقة"؟

و- عدم الاستماع الجيد، ووضع افتراضات سابقة:

لقد استمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى عتبة وتركه يوجه إليه الأسئلة، ويفترض احتمالات إجاباتها ويرد عليها، ويوجه له الاتهامات، فإذا فرغ، تأكد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من ذلك بسؤاله: فرغت ؟ قال: نعم. فتلا عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثلاث عشرة آية، فلم يفهم- كما ذكر- إلا ذكر الصاعقة في الآية الأخيرة، فإذا كان ذلك كذلك، فهو يدل على عدم عنايته بأن يسمع جيدًا لرد الطرف الآخر، كما يدل على أنه قد وضع في ذهنه أمرًا واحدًا فقط، ولا ينوي العدول عنه أو مناقشته، وهو أن يثني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الاستمرار في دعوته.

أدب هذا الحوار:

أ- الصمت عند الحاجة: يتضح ذلك من سكوت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عندما وجه إليه عتبة سؤاليه:

- يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟
- يا محمد أنت خير أم عبد المطلب ؟

فلماذا سكت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن إجابة هذين السؤالين اللذين يصنفان بأنهما من الأسئلة المغلقة؟

إن هناك أشياء قد يعرفها عتبة ويتغاضى عنها، ويريد من محمد أن يصرح بها، وهناك أشياء تحتاج إلى وقت كبير كي يعرفها عتبة، وقد يقتنع بها أو لا يقتنع، ومن هذه الأشياء:

- تواضع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للدرجة التي لا يمكن عندها أن ينطق ويقول أنا خير من أبي وجدي- وهذا شيء يعرفه عتبة عن أخلاق محمد- مع أنه خير الخلق أجمعين.

- إن المسألة هنا ليست مَن خير مِن مَن ؟ ولكن المسألة هنا أنه جاء دين جديد لم يأت أثناء حياة عبد المطلب أو عبد الله، والخيرية هنا تقاس باتباع هذا الدين .

- علم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأن عتبة لو كان مقتنعًا بأن محمدًا هو خير الخلق فضلاً عن أن يكون خيرًا من أبيه وجده، وأن الحق في اتباع هذا الدين – لآمن دون أن يجادله، وبالتالي فليس هناك داع – في ذلك الوقت – لطرح هذين الأمرين عليه، فسياق الحوار يحتاج الآن للتعريف بالدين الجديد أولاً، ثم تأتي بعد ذلك معرفة أن الخيرية تقاس باتباع هذا الدين، وأن محمدًا هو خير الخلق أجمعين .

- محاولة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يبتعد عن الجدال الذي يريد أن يدخله فيه عتبة لو قال: أنا خير من أبي وجدي. أو قال: هما خير مني.

ب- الاستماع الجيد، وإعطاء الفرصة للآخر لتفريغ كل ما يحمله من آراء وتساؤلات: يتضح ذلك من عدم مقاطعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعتبة إلى أن ظن أنه فرغ من كل ما يريد أن يوجهه إليه، ثم تأكد من فراغه بقوله (صلى الله عليه وسلم): " فرغت "؟ قال: نعم.

ج- التركيز على الهدف، ومعرفة أفضل الطرق للوصول إليه: يتضح ذلك من عدم رد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على محاولات توجيه التهم إليه والاستهزاء به من قبل عتبة، ولكنه اختار أن يجيبه عن تساؤلاته بأفضل وأبلغ كلام وهو القرآن الذي أنزل عليه فأجابه بثلاث عشرة آية غطت كل تساؤلاته:

- فهو قد سأل محمدًا: أنت خير أم عبد الله ؟ وأنت خير أم عبد المطلب ؟ وكانت الإجابة:

"قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ"[1]، أي أنه بشر ولكنه رسول من الله الواحد، وهو يوحى إليه من الله، وأن الخيرية تقاس بالاستقامة وإطاعة أمر الله الواحد، والاستغفار والتوبة عما سلف، وهو حامل الرسالة والهادي إلى الطاعة، فهو خير المطيعين، أي خير البشر أجمعين.

١- سورة فصلت.الآية رقم ٦.

- ذكر عتبة لرسول الله(صلى الله عليه وسلم) أن أباه وأجداده عبدوا الآلهة، ويجب ألاَّ يخالفهم، فجاءت الآيات تعرف الناس ببطلان عبادة تلك الآلهة والكفر بالله وهو خالق كل شيء:

"قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِين"[1] .. إلى قوله تعالى: "ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ".[2]

ثم تنذر الآيات من يصر على كفره، فتقول: "فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ". [3]

– ردت الآيات على مساومة عتبة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأن يترك دعوته في مقابل المال والجاه والنساء ، فجاءت الآية تقول:

"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ" .[4]

فأجر الله وعطاؤه أكبر وأفضل، وهو غير منقوص، وليس له حدود ... هذا لمن آمن وعمل الصالحات، فكم يكون الأجر للهادي إلى الإيمان ولعمل الصالحات وهو الرسول (صلى الله عليه وسلم) ؟ وبالتالي فلا حاجة للمساومة أبدًا.

إذًا فقد أجاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن تساؤلات عتبة بأبلغ وأفصح وأوضح كلام، كلام الله (عز وجل) .

١-كفاءة الحوار النفسية :

إذا فهم المحاور طبيعة محاوره النفسية سهل عليه التعامل معه والوصول معه إلى الهدف، ففي هذه الحالة يكون لديه إلمام بقدرته على التحمل والصبر، أو تعظيم المنافع من الفرص المتاحة، ودوافعه الخاصة بالشك أو القلق أو الطموح أو القدرة على المخاطرة، أو توفير البدائل، أو طبيعة السلوك التنازلي، أو تقديره للمواقف .إلخ.

وهذا مثال راعى فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نفسية أحد الأشخاص وتعامل معه بما يريحه:

١- سورة فصلت، الآية رقم ٩.

٢- سورة فصلت. من الآية رقم ١٢.

٣- سورة فصلت. الآية رقم ١٣.

٤- سورة فصلت. الآية رقم ٨.

روى البخاري في صحيحه أنه لما خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زمن الحديبية ونزل بأقصاها. وجاءه عروة بن مسعود، ثم جاءه رجل من بني كنانة "فلما أشرف على النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له،[1] فبعثت له، واستقبله الناس يلبون.

فلما رأى ذلك، قال: سبحان الله ! ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه، قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يُصدوا عن البيت". [2]

إنه مجرد فعل أمر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصحابه فجاء بما أراده رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وما كان ذلك إلا لأنه راعى ميول الطرف الآخر وأراحه بالأشياء التي يعظمها في نفسه، فكانت تلك النتيجة.

وهذا مثال آخر راعت فيه أسماء تأثير موقفها النفسي على زوجها الزبير، فكانت النتيجة كما أرادت:

روى مسلم في صحيحه: أن أسماء قالت: كنت أخدم الزبير خدمة البيت، وكان له فرس وكنت أسوسه، فلم يكن من الخدمة شيء أشد عليَّ من سياسة الفرس، كنت أحتش [3] له، وأقوم عليه وأسوسه.. قال: ثم إنها أصابت خادمًا، جاء النبي (صلى الله عليه وسلم) سبي، فأعطاها خادمًا، قالت: كفتني سياسة الفرس، فألقت عني مؤنته، فجاءني رجل فقال:

يا أم عبد الله.. إني رجل فقير، أردت أن أبيع في ظل دارك. قالت: إني إن رخصت لك، أبى ذلك الزبير، فتعال، فاطلب إليَّ والزبير شاهد .

فجاء فقال: يا أم عبد الله، إني رجل فقير، أردت أن أبيع في ظل دارك .

فقالت: مالك بالمدينة إلاَّ داري ؟

فقال لها الزبير: مالك أن تمنعي رجلاً فقيرًا يبيع !

فكان يبيع إلى أن كسب فبعته الجارية، فدخل عليّ الزبير، وثمنها في حجري، فقال: هبيها لي .

١- البدن: الإبل والبقر. فابعثوها له: فأثيروها له.

٢- صحيح البخاري. كتاب الشروط. حديث رقم ٢٤٥٣.

٣- أحتش: أي أجمع له الحشيش .

قالت: إني قد تصدقت بها. [1]

ويظهر في هذا الحديث مداراة أخلاق الناس في إتمام المصالح والمعرفة التامة بالأحوال النفسية والعائد الإيجابي لذلك.

٣- كفاءة الحوار الدبلوماسية:

كفاءة الحوار الدبلوماسية تتضمن القدرة على معرفة المستويات المتعددة للغة الدبلوماسية، كالإقناع، وبناء التحالفات، وتجنب السقوط في فخاخ الخصم، والاستخدام الموزون لاستراتيجيات التهديد، وفتح الباب للمهادنة، والقدرة السريعة على توظيف أدوات احتواء الأثر الدبلوماسي السيئ اجتماعيًا أو سياسيًا، وهاهو مثال على ذلك من سيرة القائد الملهم (صلى الله عليه وسلم):

قال ابن كثير في " البداية والنهاية ": [2]

" قال موسى بن عقبة بعد اقتصاصه وقعة أحد وذكره رجوعه (عليه الصلاة والسلام) إلى المدينة:

وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فسأله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن أبي سفيان وأصحابه، فقال:

- نازلتهم [3] فسمعتهم يتلاومون، ويقول بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئًا، أصبتم شوكة القوم وحدَّهم، ثم تركتموهم ولم تبتروهم، فقد بقى منهم رءوس يجمعون لكم.

فأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - وبهم أشد القرح [4]- بطلب العدو ليسمعوا بذلك وقال: "لا ينطلقن معي إلا من شهد القتال".

قال: وطلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) العدو حتى بلغ حمراء الأسد ".

لقد أحدثت وقعة بدر أثرًا اجتماعيًا ونفسيًا وسياسيًا مختلفًا عند كل من المسلمين وقريش وغير المسلمين، وفي الحوار السابق أراد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يعرف ذلك الأثر على قريش، ولما سمع ما سمع من الرجل، حلّل نص كلماته، وخرج

١- كتاب السلام- باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، حديث رقم ٣٣.

١- البداية والنهاية. ج ٤، ص ٤٨ .

٢- أي نزلت معهم .

٣- الجرح من السلاح .

بنتيجة أن قريش ندمت على أن تركت المسلمين – بعد أن تمكنت منهم – دون أن تستأصلهم، وأنها (قريش) راجعة لذلك لتقضي على المسلمين قضاءً تامًا.

هنا أدرك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) طبيعة الموقف، فلو سكت على ذلك، لحدثت الطامة بدخول قريش على المسلمين في المدينة وهو في هذه الحالة من الضعف، فقرر أن يرسل إليهم رسالة تردعهم، رسالة ليست شفهية ولا كتابية، فالموقف لا يحتمل إرسال رسالة من هذا النوع قد لا تُحدث أثرها المطلوب، بل قد تأتي بنتيجة عكسية، فعزم على أن يرسل إليهم رسالة عملية، بأن دعا المسلمين إلى الخروج في أثرهم وطلب قتالهم ليعرف العدو أن المسلمين لا تزال بهم قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

وعندما أقام بحمراء الأسد تحقق له الهدف الأول وهو وصول رسالة عملية مؤكدة إلى قريش: أنكم لن تستطيعوا أن تحققوا ما تريدون، بل نحن الذين نتعقبكم.

يقول ابن كثير في " البداية والنهاية ": [1]

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر معبد بن أبي معبد الخزاعي، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة [2] رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بتهامة صفقتهم معه، لا يخفون عنه شيئًا كان بها، ومعبد يومئذ مشرك، مرّ برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو مقيم بحمراء الأسد..

.. فقال: يا محمد، أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم..

.. ثم خرج من عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بحمراء الأسد.. حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه، وقالوا: أصبنا حدَّ أصحابه وقادتهم وأشرافهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟!.. لنكرنَّ على بقيتهم، فلنفرغنّ منهم.

.. فلما رأى أبو سفيان معبدًا، قال: ما وراءك يا معبد؟

.. قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقًا، قد اجتمع معه من كان تخّلف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط.

١- البداية والنهاية. ج ٤، ص ٤٨ .

٢- عيبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أي موضع سره .

.. قال: ويلك ما تقول ؟

.. قال: والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل.

.. قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل شأفتهم.

.. قال: فإني أنهاك عن ذلك، والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتًا من شعر...

.. قال: وما قلت؟

.. قال: قلت:

كادت تُهد من الأصوات راحلتي
إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيلِ

تـرُدي بأسد كرام لا تنابلـةٍ
عند اللقاء ولا ميل معازيل

فظلت عدوًا أظن الأرض مائلة
لما سموا برئيس غير مخذول

فقلت: ويل ابن حرب من لقائكم
إذا تغطمطت البطحاء بالجيل

إني نذيرٌ لأهل البسل ضاحية
لكلِ ذي أربة منهم ومعقول

من جيش أحمد لا وخش قنابله
وليس يوصف ما أنذرت بالقيل.

لقد أرعبت هذه الكلمات أبا سفيان وأصحابه، فتحقق الهدف الثاني . وهو الهدف الرئيس . وهو رجوع قريش إلى ديارها دون أن تحقق مرادها في الرجوع إلى المدينة والقضاء علي المسلمين.

وهنا نرى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد استخدم استراتيجية التهديد بشكل موزون، فهو قد خرج في أثر قريش، ولكنه لم يصر علي اللحاق بهم، فأقام وأصحابه

ثلاثة أيام في حمراء الأسد، ولما عرف أن الرسالة قد وصلت إليهم وحققت هدفها رجع (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه إلى المدينة.

رابعًا . استراتيجيات الحوار :

يضع المحاور في اعتباره استراتيجية معينة يتبعها في حواره أو قد يغيرها، وأهم هذه الاستراتيجيات :

- استراتيجية اللين.
- استراتيجية التشدد.
- استراتيجية الوسط بين التشدد واللين.

والاستراتيجية الأخيرة قد تعتبر من وجهة نظر طرف استراتيجية لين، بينما يعتبرها الآخر استراتيجية تشدد.

ولذلك سأتناول الاستراتيجية الأولى والثانية فقط .

١- استراتيجية اللين:

كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتبع هذه الاستراتيجية في أغلب حواراته.. ومن أقواله في هذا الخصوص:

"إن في الجنة – لغرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام". [١]

وقال (عليه أفضل الصلاة وأتم السلام):

" اتقوا النار ولو بشق تمرةٍ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة". [٢]

وجاء إعرابي يومًا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [٣] يطلب شيئًا، فأعطاه (صلى الله عليه وسلم)، ثم قال له:

- "أحسنت إليك؟"

قال الأعرابي: لا، ولا أجملت.

١- الحديث رواه الترمذي. [إحياء علوم الدين. ج ٩ ص ١٥٥٨].

٢- الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم. [إحياء علوم الدين. ج ، ٩ ص ١٥٥٨].

٣- الحديث بطوله رواه البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف [إحياء علوم الدين. ج ٧، ص ١٣٢٣].

obeikandl.com

فغضب المسلمون، وقاموا إليه، فأشار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إليهم " أن كفوا " ثم قام ودخل منزله، وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئًا، ثم قال:

- " أحسنت إليك ؟ "

قال:

- نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا.

فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم):

- " إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يديّ حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك ".

قال: نعم .

فلما كان الغد أو العشي جاء فقال النبي (صلى الله عليه وسلم):

- " إن هذا الإعرابي قال ما قال فزدناه، فزعم أنه رضي، أكذلك ؟ "

فقال الأعرابي:

- نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا.

فقال (صلى الله عليه وسلم):

- " إنّ مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه، فأتبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفورًا، فناداهم صاحب الناقة: خلُّوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها وأعلم. فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها، فأخذ لها من قُمام الأرض، فردّها هونًا، حتى جاءت واستناخت، وشدّ عليها رحلها، واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه، دخل النار".

صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله، ما أصدق الحق الذي قال عنك:

"لَقَدْ جاءكمْ رسُولٌ منْ أَنْفسِكُمْ عِزِيزَ عليْهِ ماَعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمنينَ رءُوفٌ رحيمٌ".[1]

١- سورة التوبة. الآية رقم ١٢٨.

٢- استراتيجية التشدد:

تستخدم هذه الاستراتيجية في مواقف معينة، ويؤدي عدم استخدامها في تلك المواقف إلى نتائج سيئة على الطرف الذي قصر في ذلك.

أما إذا استعملت في غير موضعها، فإنها تستنفد طاقة مستعملها وقد تعود عليه بالضرر.

وهذا مثال عليها من عند عمر (رضي الله عنه) وأصحابه:

روى البخاري: "عن جبير بن حيّة، قال: بعث عمر الناس في أفناء الأمصار يقاتلون المشركين، فأسلم الهرمزان، فقال: إني مستشيرك في مغازيّ [١] هذه .

قال نعم، مثلها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين مثل طائر له رأس وله جناحان وله رجلان، فإن كسر أحد الجناحين، نهضت الرجلان بجناح والرأس، فإن كسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس، وإن شدخ الرأس، ذهبت الرجلان والجناحان والرأس، فالرأس: كسرى، والجناح: قيصر، والجناح الآخر: فارس، فمر المسلمين فلينفروا إلى كسرى.

وقال بكر وزياد جميعًا عن جبير بن حيّة، قال: فندبنا عمر، واستعمل علينا النعمان بن مقرن، حتى إذا كنا بأرض العدو، وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفًا، فقام ترجمان، فقال: ليكلمني رجل منكم .

فقال المغيرة: سل عما شئت .

قال: من أنتم ؟

قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينما نحن كذلك، إذ بعث رب السموات ورب الأرضين (تعالى ذكره، وجلت عظمته) إلينا نبيا من أنفسنا، نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا (صلى الله عليه وسلم) أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده،

١- أي: فارس وأصبهان وأذربيجان، أي بأيها نبدأ في الغزو؟، وقد استشار عمر الهرمزان لأنه كان أعلم بشأنها من غيره .

أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) عن رسالة ربِّنا، أنّه منْ قُتِل منَّا، صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط، ومن بقي منا ملك رقابكم". (١)

إنه موقف يحتاج إلى استعمال استراتيجية متشددة في الحوار، وخصوصًا أن الترجمان بدأ حديثه بتجاهل المسلمين واستحقارهم قائلاً: " من أنتم ؟ "

بل جاء في رواية أبى شيبة:

"فقال إنكم معشر العرب، أصابكم جوع وجهد فجئتم، فإن شئتم مرناكم (بكسر الميم وسكون الراء: أعطيناكم الميرة، أي الزاد) ورجعتم". (٢)

وجاء في رواية الطبريّ :

" إنكم معشر العرب أطول الناس جوعًا، وأبعد الناس من كل خير، وما منعني أن آمر هؤلاء الأساورة أن ينتظموكم بالنشاب إلا تنجسًا لجيفكم .

قال: فحمدت الله، وأثنيت عليه، ثم قلت: ما أخطأت شيئًا من صفتنا، كذلك كنا حتى بعث الله إلينا رسوله". (٣)

هنا لا بد أن تظهر الشدة والقوة والشهامة والفصاحة والبلاغة، فكان كلام المغيرة أشد من الرمي بالسهام وضرب السيوف، كلام وجيز بيَّن ما كان عليه حال المسلمين قبل بعثة محمد (صلى الله عليه وسلم) وبين حالهم الآن، وبيَّن ما سيصير إليه حالهم عندما يشتبكون معهم، فإما النصر، وإما الشهادة، وهم يعشقون الحالتين، وبيَّن هدفهم من المجيء إلى كسرى وقومه، وبيَّن قوة إيمانهم وعزمهم وإصرارهم على تحقيق هدفهم.. كل ذلك في كلمات قصار عجب لها النعمان (قائد جيش المسلمين)، فعلق قائلاً:

"ربما أشهدك الله مثلها مع النبي (صلى الله عليه وسلم) فلم يُنَدِّمْكَ ولم يُخْزِكَ". (٤)

٢- صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٢٨٢٢ .

١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ج ، ٩ ص ٣٧١.

٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ج ٩، ص ٣٧١.

٣- صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٢٨٢٢.

obeikandi.com

قال ابن بطال [1] : قول النعمان للمغيرة: "ربما أشهدك الله مثلها"، أي مثل هذه الشدة. وقوله: "فلم يندمك" أي ما لقيت معه من الشدة، " ولم يحزنك " أي لو قتلت معه لعلمك بما تصير إليه من النعيم وثواب الشهادة.

obeikandl.com

٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ج ٩، ص ٣٧٢.

هكذا يكون توظيف الاستراتيجيات المتشددة في موضعها ومكانها ومقامها، وهي لهذا تستحق الثناء، أما إذا جاءت الشدة في الحوار في غير موضعها، فإنها لا تستحق إلاَّ الذم.. وفي الحديث التالي مثال لتوظيف استراتيجية التشدد في غير موضعها:

روى مسلم عن علي، قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سرية، واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم (هذا الرجل) أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء، فقال: اجمعوا لي حطبًا، فجمعوا له، ثم قال: أوقدوا نارًا، فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن تسمعوا لي وتطيعوا؟

قالوا: بلي.

قال: فادخلوها.

قال: فنظر بعضهم إلى بعض...

فقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من النار.

فكانوا كذلك.. وسكن غضبه، وطفئت النار فلما رجعوا، ذكروا ذلك للنبي (صلى الله عليه وسلم)..

فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف. [1]

١- كتاب الإمارة. باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، حديث رقم ٤٢.

obeikandl.com